التنكير والتعريف في شعر مرْج الكُحل (ت ٦٣٤ هـ)

الباحث/ حسن فاروق شحاتة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد- :

يُعدُّ أبو عبد الله بن إدريس الملَّقب بمرْج الكُحل الأندلسي(**ت ٦٣٤هـ**) من شعراء الأندلس المتأخرين وتحديدًا من شعراء عصر الموحدين.

ونتيجة لما قيل من جودة شعره، حاولت أن أتناول ظاهرة واضحة في شعره وهي (التنكير والتعريف)؛ لما لها من إطلالة واضحة في شعره.

فتناولت هذه الظاهرة بداية بـ

- التنكير ودلالاته.
- التعريف ودلالاته.
- التعريف بالمضمر.
- التعريف بالعلمية.
- التعريف بالإشارة.
- التعريف بالموصولية.
- التعريف بـ ال.
- التعريف بالإضافة.

ثم زيل البحث بخاتمة تسجل ما انتهت إليه الدراسة وثبت بالمصادر والمراجع.

Introduction:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the Prophet, who was sent as a mercy to the worlds, and upon his family and companions altogether .

Abu Abdullah bin Idris, also known as Merg Al-Kuhl Al-Andalusi (d. 634 AH), is considered one of the late poets of Al-Andalus, specifically from the poets of the Almohad era. Due to the quality of his poetry, I attempted to address a clear phenomenon in his poetry, which is (denial and affirmation), due to its clear appearance in his poetry.

I addressed this phenomenon starting with:

-Denial and its implications.

-Affirmation and its implications.

-Definition by implication.

-Definition by scientific terminology.

-Definition by pointing.

-Definition by association.

-Definition by "Alif and Lam."

-Definition by addition.

Then the research was concluded with a conclusion that records the study's findings and is supported by sources and references.

التنكير والتعريف:

-التنكير ودلالاته:

التنكير في اللغة: جاء في لسان العرب: "النَّكِرةُ إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة، والنكرة: خلاف المعرفة، ونَكِر الأمر نكيرًا وأَنْكَرَه إنكارًا ونُكْرًا: جهله"(١)، فالتنكير في المعنى اللغوي يعني الجهل بالشيء وعدم معرفته.

والنكرة اصطلاحًا:"ما دلت على شيءٍ لا بعينه"(٢)، وهي "اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر، ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك، وهذا يصدق بالمثنى والجمع"(٣).

وإذا أُطلِقتْ النكرة دلَّت على أحد أمرين: إرادة الوحدة، أو إرادة الجنس، فإرادة الوحدة نحو: زارني اليوم رجلٌ غريبٌ، وإرادة الجنس نحو قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾(٤) ،وقد تحتمل الجنس والوحدة معًا، كقولك (جاءني اليوم رجلٌ)، فهذا يحتمل إنه جاءك رجلٌ واحدٌ، ويحتمل إنه جاءك رجلٌ لا امرأةٌ (٥).

وللنكرة علامةٌ تُعرَفُ بها،هي: أن تقبل دخول "ال"؛ التي تُؤثِّرُ فيها فتفيد التعريف، فالكلمات (رجل، طالب، كتاب،...) نكرات؛ لأنها تقبل دخول "ال" التي تُكسِبها التعريف، وربما كانت النكرة لا تصلح في ذاتها لدخول "ال" عليها مباشرة؛ وإنما تدخل على كلمة أخرى بمعناها، بحيث تصلح كل واحدة منهما أن تحلَّ محلَّ الأخرى، فلا يتغير شيء من المعنى، مثل كلمة "ذو" التي بمعنى "صاحب"؛ فكلمة "ذو" نكرة لا شك في تنكيرها، مع أنها لا تقبل "ال"، ولكنها بمعنى كلمة أخرى تقبل "ال"؛ وهي كلمة "صاحب"(٦).

وللتنكير أغراض متعددة؛ أهمها: (إرادة الواحد، إرادة الجنس، التعظيم، التهويل، التكثير، التقليل، التخصيص، التحقير، التجاهل والاستهزاء) (٧).

ويعد التنكير والتعريف من أدوات الدلالة على المعاني، فكلاهما يدل على مُعين؛ إلَّا أنَّ الفرق بينهما أنَّ النكرة يُفهَم منها ذات المُعين فقط، ولا يُفهَم منها كونه معلومًا للسامع،؛

(١) لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، تحقيق أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، مادة (نكر).

(٢) الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، سيدا، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، جـ٢، صـ٨.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ١، صـ٣٩٦.

(4) سورة النور، آية٤٥.

(٥) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،جـ ١، صـ٣٩.

(٦) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت، جـ١، صـ٢٠٩

(٧) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، جـ ١، صـ٤٠- ٤١.

لأن النكرة بمفردها تدل على الإطلاق، وأما المعرفة فيُفهَم منها ذات المعين، ويُفهَم منها كونه معلومًا للسامع لدلالة اللفظ على التعيين(١).

أمثلة التنكير في ديوان ابن مرْج الكُحل:

قال في الفتنة العمياء التي حلَّتْ بالأندلس بعد وفاة المستنصر بين الأخويْن أبي العلاء إدريس وعبد الله العادل؛ ابنَيْ يعقوب المنصور: (الطويل)

ولا سيَّمَا في فتنةٍ مُدلهِمَّةٍ فلا أحدٌ فيها أخاه يُشَمِّتُ(٢)

أفاد التنكير في كلمتي (فتنة – مُدلهمَّة) التهويل؛ حيث دلَّتا على شدَّة تلك الفتنة، يؤكد هذا ما قاله في الشطر الثاني من أنَّ الأخ فيها لم يكن يُشَمَّتُ أخاه، كما دلت النكرة في قوله:(أحد) على التعميم، فقد شملت الفتنة جميع الطوائف ولم تترك أحدًا.

وكتب ابن مرُج على حيطان مسجد جلس فيه يستريح: (مخلع البسيط)

يعمرُكَ النَّاسُ في سُجودٍ وفي رُكوعٍ وفي قُنوتِ(٣)

عبَّر ابن مرْج في هذا البيت عن الصلاة بثلاث نكرات هُنَّ (سجود – ركوع – قنوت)، وكلهن يُفِدْنَ التعظيم، وقد بدأ بالسجود الذي تتجلَّى فيه مُناجاة العبد لربه، وأعقبه بالركوع ثم القنوت، وأسبقهن بحرف الجر (في) مما يُوحي بالخشوع والتعمق التام في الصلاة.

ويقول: (الكامل)

يا نظرةً أودَتْ بحُسْنِ شبابي وقَضَى عَلَيَّ نعيمُها بعذابِ

ما كنتُ أحسَبُ نَظْرَةً من نَضْرَةٍ تَقْضي على مُشتاقها بعِقَابِ

يا شَادِنًا عَيْنَاهُ تَفْعَلُ بالنُّهى ما تَفْعَلُ الصَّهْبَاءُ بالألْبَابِ(٤)

أفاد التنكير في كلمة (نظرة) التعظيم؛ حيث أثَّرَتْ تلك النظرة على الشاعر تأثيرًا بالغًا، فنعيم النظرة كان سببًا في عذاب الشاعر وشقائه، كما دلَّ التنكير في قوله (عذابِ – عقابِ) على التهويل وإبراز مدى مُعاناته وألمه.

أما نداء النكرة في قوله: (يا شادنًا) فيفيد التلطُّف إلى محبوبته؛ وتعظيم صفة الجمال فيها، حيث شبَّهها بصغير الغزالِ، وبالغَ في وصف جمال عينيها لدرجة أنها تُذهبُ العقول كما تفعل الخمر.

(١) ينظر: دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم آيات التعصب والعناد نموذجًا، عباس يونس حمزة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد ٣١، ٢٠١٨ م، صـ٩٠.

(٢) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٥.

(٣) السابق، صـ٤٥.

(٤) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٤.

وقال الشاعر يمدح السلطان محمدًا بن يوسف بن هود الجذتمي، الذي ملك بعض أجزاء الأندلس بعد سقوط الموحدين بها: (الطويل)

وكم زَهْرَةٍ فَتَحْتَ وهْيَ كِمَامَةٌ وَلَمْ تَجْنِ غَيْرَ البِيضِ مِنْ فَتْحِهَا زَهْرَا[١]

أفاد التنكير في (زهرة، زهرًا) التعظيم، فهو يُشبِّه المدائن التي فتحها في الأندلس بالزهور التي تفتَّحتْ على يديه فأخرجتْ ما فيها من خير وجمال، وهو ما يدلُّ على اهتمامه بتطوير المدائن التي يفتحها، كما يوحي التنكير في كلمة (كمامة) التقليل من شأن تلك المدائن قبل فتحه لها، حيث إنَّ الكمامة هي وعاء الطلع قبل أن تتفتَّح.

وفي عشيَّةٍ بنهر الغنداق من خارج بلد لوشة يقول: (الكامل)

وعشيَّةٍ كم كنتُ أرْقُبُ وقتها سمحتْ بها الأيامُ بعد تعذُّرِ[٢]

فقوله (وعشيَّةٍ) يفيد التعظيم والتشويق، فكم كان ينتظر الشاعر تلك اللسلة ويشتاق إليها، وقد حظى بها بعد صعوبةٍ وعناء.

يقول ابن مرْج الكُحل:

تعلَّمْ إنْ تَشَأ عِزًّا فكُلُّ جهالةٍ ذِلَّهْ

فكم باكٍ على وزْرٍ بعينٍ منه مُنْهَلَّهْ [٣]

تعدَّتْ النكرات في هذين البيتين؛ وتنوَّعت دلالتها، فقوله (عزًّا) يُفيد التعظيم، كما يفيد قوله: (جهالة، ذلَّة) الاستغراق والعموم، حيث يرى الشاعر أنَّ العزَّ في التعلُّم، وأنَّ الجهل لا يورث لصاحبه إلا الذلَّ والمهانة.

وفي البيت الثاني أفاد التنكير في قوله (باكٍ، وزرٍ، عينٍ، مُنهلَّهْ) التكثير، فالشاعر يدعونا إلى التوبة من الذنوب والأوزار والندم عليها مهما كثُرَتْ.

ويقول: (المجتث)

اصبر على الظُّلمِ تُكْفَى أو تُوتَ أجرًا مُوَفَّى

مَن كان غَارِسَ شيءٍ فلينتظرْ منه قَطْفَا [٤]

وللنكرة هنا دلالة واضحة على عِظَمِ أجر الصبر على الظلم وعلى المكاره، يبرز ذلك في قوله: (أجرًا، مُوَفَّى، قطْفا)؛ فما أعظم القِطَاف الذي سيجنيه الصابرون.

---

(١) السابق، صـ٥١.

(٢) نفسه، صـ٥١.

(٣) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٥٨.

(٤) السابق، صـ٦٤.

- التعريف ودلالاته:

أمَّا التعريف في اللغة: جاء في لسان العرب:"التعريفُ الإعلامُ، والتعريفُ أيضًا: إنشادُ الضَّالة، وعَرَّفَ الضَّالَّةَ نَشَدَها"(١).

واصطلاحًا:"اسمٌ دلَّ على مُعيَّن، كعُمَر ودمشق وأنتَ"(٢)، وذلك"لأنه مُتميِّزٌ بأوصاف وعلامات لا يُشاركه فيها فردٌ من نوعه"(٣).

أقسام المعرفة: والمعرفة ستة أقسام: "المُضمَر كَهُمْ، واسم الإشارة كَذي، والعَلَم كَهِنْد، والمُحلَّى بالألف واللام كَالغُلام، والموصول كالَّذي، وما أُضيفَ إلى واحد منها كابْنِي"(٤).

١-التعريف بالضمير: والضمير فَعِيل بمعنى اسم مفعول من أضْمرتُ شيئًا في نفسي إذا أخفيتُه وسترتُه، فهو مُضْمَر، كالحكيم بمعنى المُحكَم، والنحاة يقولون إنَّما سُمِّيَ بذلك لكثرة استتاره، فإطلاقه على البارز توسعٌ، أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة، والثاني هو الراجح، وذلك لأنك بالضمير تستر الاسم الصريح فلا تذكره، فإنك إذا قلت: (أنا)؛ فأنت لم تذكر اسمك وإنما سترته بهذه اللفظة، وكذا إذا قلت أنت وهو وهي(٥).

وينقسم الضمير إلى: بارز: وهو ما له صورة في اللفظ؛ كتاء "قمتُ"، وإلى مستتر: وهو بخلافه؛ كالمُقدَّر في "قُمْ".

وينقسم البارز إلى: متصل: وهو ما لا يُفتَتح به في النطق، ولا يقع بعد إلا، كياء "ابنِي" وكاف "أكْرَمَكَ"، وإلى منفصل: وهو ما يُبتَدأ به، ويقع بعد إلا، نحو "أنا"؛ تقول: "أنا مؤمن، وما قام إلا أنا"(٦).

ومن أغراض التعريف بالإضمار أنه يدلُّ على عموم الحاضر أو الغائب دون تخصيص لغائب أو حاضرٍ بعينه، وهذا الحضور قد يكون حضور تكلم أو خطاب أو غائب، وترتبط هذه الضمائر في تعريفها وأغراضها بالسياق، وتُعين على ذلك القرائن(٧).

ومن نماذج التعريف بالضمير في شعر ابن مرج الكحل ما يأتي:

يقول الشاعر: (الطويل)

أأنتِ التي صيَّرتِ قدَّكِ مائسًا وعِطفكِ ميَّادًا ورِدفكِ رجرجا (٨)

---

(١) لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل إبن منظور، مادة (عرف).

(٢) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ٣٠، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، صـ١٤٧.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن، جـ ١، صـ٢٠٩.

(٤) شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني (ت ٧٦٩هـ)، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، جـ١، صـ٨٧.

(٥) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، جـ١، صـ٤٢.

(٦) يُنظر: أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، صـ٤١- ٤٢.

(٧) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، صـ٣٣٤.

(٨) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٦.

وقصد الشاعر هنا من التعريف بضمير المخاطب (أنتِ) والكاف في (قدَّكِ، عطفَكِ، ردفَكِ)؛ حضور محبوبته في وجدانه، وتصوَّر أنها ماثلةً أمامه، كما قصد المبالغة في وصف جمالها، وتخصيصها بهذا الجمال، ومزج الضمير (أنتِ) بهمزةٍ استفهاميةٍ ليُفيد التعجب من حُسنها.

وقال أيضا:)الطويل)

إذا ما ابن عيَّاشٍ تدانى محلُّهُ فلا عيش إلا وهْوَ فيه خصيبُ (١)

وقد أفاد التعريف بالضمير هنا الحصر والتخصيص؛ حيث ربط بين الحياة وبين وجود ابن عيَّاش، فلا تكون الحياةُ حياةً إلا بوجوده في محله وكثرة خيره المعهودة.حيث أفاد التعريف بالضمير هنا التخصيص.

ومنها قوله: (الطويل)

فحسبي من فخرٍ وأنت مُقلِّدٌ مقالك عني؛ إنَّه لأديبُ (٢)

نوَّعَ الشاعر في هذا البيت بين الضمائر المتصلة والمنفصلة؛ فعبَّر عن نفسه بالياء الدالة على المتكلم في قوله (فحسبي، عنِّي) بالإفراد، ولم يستخدم ضمير الجمع عند حديثه عن نفسه، وهذا من باب التواضع، ثم التفت عن ضمير التكلم إلى الغائب في التعبير عن نفسه في قوله (إنَّه)، بينما استخدم ضمير الخطاب (أنتَ) والكاف في (مقالك) في حديثه عن ممدوحه تعبيرًا عن أنه حاضرٌ في وجدان الشاعر.

ويقول: (مخلع البسيط)

فأنت في القلبِ في السُّوَيْدا وأنت في العينِ في السَّوادِ (٣)

ويفيد التعريف بالضمير هنا التعظيم؛ والاستلذاذ بذكر المخاطب، وتكرار الضمير يدل على تأكيد محبة الشاعر لمخاطبه وعلو منزلته في قلبه.

ويقول: (الطويل)

إمامُ البرَايا في بلاغته التي يُقِرُّ لها بالعجز مَن هو جاحِدُ (٤)

فالتعبير بالضمير (هو) هنا يُوحي بالمبالغة في الإقرار ببلاغة ممدوحه؛ حيث لا يُقرُّ بها العامة فقط؛ بل يُقرُّ الجاحدون أيضًا بالعجز أمامها، كما يفيد التأكيد، حيث كان يكفي أن

(١) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٣.
(٢) السابق، صـ٤٣.
(٣) نفسه، صـ٥٠.
(٤) نفسه، صـ٤٩.

يقول:"يقر لها بالعجز الجاحد"؛ لكن ذكر الضمير هنا أبرز المعنى وقوَّاه، والفرق واضحٌ في الدلالة بين أن يقول "الجاحد" و"مَن هو جاحدٌ".

٢-التعريف بالعلمية:

ويُعرف العلم بأنه:"اسمٌ يُعيِّن مُسمَّاه مطلقًا"(١)، وله أقسامٌ متعددة باعتباراتٍ مختلفة، أهمها تقسيمه إلى: اسم وكنية ولقب.

فالكنية: كل مركب إضافي؛ في صدره أبٌ أو أمٌّ، كأبي بكر، وأم كلثوم.

واللقب: كل ما أشعر برفعة المسمى أو ضعته؛ كزين العابدين، وأنف الناقة.

والاسم: ما عداهما، وهو الغالب؛ كزيد وعمرو، ويؤخر اللقب عن الاسم؛ كزيدٍ زين العابدين (٢).

وله أغراضٌ كثيرة منها (٣):

١- إحضاره بعينه في ذهن السامع.

٢- الكناية؛ إذا كان الاسم صالحًا لها.

٣- إيهام استلذاذه.

٤- التبرُّك به.

٥- التفاؤل.

٦- التطيُّر.

٧- التسجيل على السامع، أي التحقيق والتثبيت عليه كما يُحقق الشيء بالكتابة حتى لا يجد إلى إنكار السامع سبيلا.

ومما ورد في شعر ابن مرج الكحل في هذا النوع:

قوله: (الكامل)

<u>أمحمدُ بنُ حَمِيدٍ</u> العدلِ الرِّضَى دَعْوَى مُحِبٍّ فيكُمُ مَعْرُوفِ (٤)

فالتعريف بالعلم هنا أفاد التعيين والتخصيص، وحسُنَ هنا التعريف بالعلم في مقام المدح دلالة على تعظيم الممدوح.

(١) أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، صـ٥٠.

(٢) ينظر: السابق، صـ٥٢.

(٣) ينظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١، ١٩٨٠م، صـ١٤٣، ١٤٤.

(٤) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٦٤.

وقال الشاعر: (المديد)

لأبي بكر التطيلي برٌّ يتبعُ الإخوانَ شرقًا وغربًا (١)

استخدم الشاعر كنية ولقب الممدوح لاستحضاره وتعظيمه، والإشادة بفضله، كما استعان بتقديمه على المبتدأ (برٌّ) للاهتمام به.

وقال في بلدة شقر: (الوافر)

كأنَّ الخضْرَ مَرَّ بِهِ يمينًا ومَدَّ عليه جبريلٌ جَنَاحَا (٢)

أفاد التعريف بالعلم في (الخضر، جبريل) التبرُّك حيث أشار إلى الخِضر صاحب سيدنا موسى –عليه السلام– وصاحب الكرامات، وذكر سيدنا جبريل –عليه السلام–، تبرُّكًا بذكرهما واستحسانًا لتلك البلدة الجميلة المباركة التي تعمر بالخيرات.

ويقول: (الطويل)

وهل عند صفوانَ بن إدريسَ أنَّني مُقيمٌ على عهدِ المودَّةِ ماكثُ (٣)

ويفيد التعريف بالعلم هنا تعيين المُسمَّى بذاته وتعظيمه، كما يُوحي بقرب مكانته وعلوها عند الشاعر.

وقال في الغزل: (الطويل)

وشيبَ بَيَاضُ القَطْرِ مِنْهُ بِحُمْرَةٍ فَأَذْكَرَنِي ثَغْرًا لِسَلْمَى مُفَلَّجَا (٤)

وقال يتشوَّق إلى أبي عمرو بن غياث: (الوافر)

أبا عمرٍو متى تقضِي الليالي بلُقياكُمْ وهُنَّ قَصَصْنَ ريشي (٥)

عبَّر بالكنية (أبا عمرو) في نداءٍ يستحضر المخاطب في الذهن؛ بل يجعله كأنه ماثلٌ أمامه من شدَّة شوقه إليه.

قال أبو الحسن الرعيني: وله من قطعةٍ كَتَبَ بها إلى شيخنا الجليل أبي الربيع بن سالم: (الوافر) **لقد فُقْتَ ابنَ سالمٍ البَرايا بما خُوِّلْتَ من قَدْرٍ رفيعِ** (٦)

وواضحٌ هنا دلالة العلم (ابن سالم) على التعظيم وبيان عُلُوِّ منزلة ابن سالم عنده، وقد بالغ الشاعر في مدحه حتى جعله يفوق جميع الخلق بما حاز من المكانة العالية.

وقال مخاطبًا أبا الحسن الرعيني: (الوافر)

---

(١) السابق، صـ٤٣.
(٢) نفسه، صـ٤٧.
(٣) نفسه، صـ٤٥.
(٤) نفسه، صـ٤٦.
(٥) نفسه، صـ ٦٨.
(٦) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٦٣.

أبا حسَنٍ أعندكَ أنَّ عيني إذا ما أبْصرَتْكَ تَقَرُّ عيني (١)

استطاع الشاعر استحضار صورة ممدوحه بالنداء مُستخدمًا كنيته (أبا حسن)؛ لتعظيمه ومدحه، والتعبير عن مدى حب الشاعر وشوقه للممدوح.

٣-التعريف بالإشارة:

والمُشار إليه: "إمَّا واحد أو اثنان أو جماعة، وكل واحد منها: إما مذكر وإما مؤنث، فللمفرد المذكر:"ذا"، وللمفرد المؤنث عشرٌ؛ زهي: ذي، وتي، وذِه، وتِه، وذات، وتا، وللمثنى ذان، وتانِ رفعًا، وذين وتَيْن جرًّا ونصبًا، وبجمعهما: "أولاء"ممدودًا عند الحجازيين ومقصورًا عند تميم"(٢).

وهناك دواعٍ دلالية كثيرة لاستخدام اسم الإشارة؛ فبالإضافة إلى الإشارة للمفرد والمثنى والجمع، وللقريب والبعيد؛ نجد الإشارة تحمل معانٍ أخرى (٣)، منها:

١- التعريف بالمشار إليه.

٢- تمييز المُتَحَدَّث عنه أكمل تمييز مبالغة في تعيينه، ويحسُن هذا في الإطراء أو الهجاء.

٣- تكريم المتحدَّث عنه وبيان ارتفاع منزلته.

٤- إهانة المُتَحدَّث عنه، وبيان انحطاط منزلته.

٥- التحقير.

٦- بيان أنَّ المُتَحدَّث عنه واضحٌ جليٌّ قريب التناول.

٧- تنزيل المعنويات الفكرية منزلة الحواس.

٨- التأكيد على صفاتٍ ذُكرتْ سابقًا.

٩- التهكم بالمخاطب.

وقد استخدم ابن مرج الكحل التعريف بالإشارة في ديوانه، ومن الأمثلة الواردة فيه:

قال في الإضافة إلى بيتين أنشدهما له ولأصحابه أحد الأطباء بإشبيلية: (مجزوء الرمل)

إنْ أتَيْتُمْ فَفُرَادى ذاكَ حُكْمُ المُسْتَرَاحِ (٤)

(١) السابق، صـ٦١.

(٢) أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، صـ٥٥.

(٣) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ١، صـ٤١٨ - ٤٢٨.

(٤) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٧.

وقال يمدح الكاتب ابن عياش: (الطويل)

ولستُ كقومٍ أضْمَرَتْهُم بلادهم أولئك موتى والبلادُ ملاحدُ (١)

ومما ضمنه رسالته إلى أبي بحر صفوان بن إدريس: (بسيط)

لم يترُكا في العُلا حظًّا لمُلْتَمِسٍ سَيَّانَ هذا وهذاكَ ابنُ إدريسِ (٢)

وأفاد التعريف بالإشارة في قوله (هذا وهذاك) المبالغة والتعظيم، حيث يرى الشاعر أنَّ العُلا وابن إدريس يستويان في الرفعة وعلو المنزلة.

وقال مخاطبًا أبا عمرو محمد بن غياث: (وافر)

أبا عمرٍو ولي نَفَسٌ ونَفْسٌ تَهادَى ذا إليكَ وذي تَجيشُ (٣)

إنَّ التعبير باسمي الإشارة (ذا، ذي) من التعبيرات الجميلة التي استخدمها الشاعر في الدلالة على تكريم المتحدَّث عنه وبيان ارتفاع منزلته، حيث أرجع اسم الإشارة الأول (ذا) إلى نَفَس الشاعر –بفتح الفاء– الذي يهديه لممدوحه حُبًّا وإكرامًا، ثم أرجع اسم الإشارة الثاني (ذي) إلى نَفْسِه –بسكون الفاء– التي تتلهف لرؤية أبي عمرٍو وتجري إليه شوقًا.

وقال في الوصف: (الوافر)

يقول القائلون إذا رَأوْهُ: أهذا الدُّرُّ من تلك الحِقَاقُ ؟ (٤)

٤– التعريف بالموصولية:

والاسم الموصول: هو ما يدل على معين بواسطة جملة تُذكر بعده، وتسمى هذه الجملة (صلة الموصول)، والأسماء الموصولة قسمان: خاصة ومشتركة.

فالموصولات الخاصة: هي التي تُفرَد وتُثَنَّى وتُجمع وتُذكَّر وتؤنث، حسب مقتضى الكلام؛ وهي (الذي –"اللذان، اللذَيْنِ"– الَّذينَ – التي –"اللتانِ، اللتَيْنِ"– اللاتي، اللواتي، اللائي"– الأُلي).

والموصولات المشتركة: هي التي تكون بلفظ واحد للجميع، فيشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وهي (مَن – ما – ذا – أيّ – ذو)؛ نقول:"نجح من اجتهد، ومن اجتهدَتْ، ومن اجتهدا، ومن اجتهدتا، ومن اجتهدوا، ومن اجتهدْنَ"(٥).

(١) السابق، صـ٤٩.

(٢) نفسه، صـ٦٧.

(٣) نفسه، صـ٦٧.

(٤) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٦٥.

(٥) ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، جـ١، صـ ١٢٩ – ١٣١.

ويقتضي التعريف بالموصولية أمورًا [١]؛ منها:

١- تنبيه المخاطب على خطئه.

٢- المدح.

٣- الإشارة إلى أمرٍ مُحقَّق ثابت.

٤- التفخيم والتهويل.

وفي النهاية نستطيع القول إن سياق التعريف بالموصولية يتصل بطبيعة الغرض الذي سيق الكلام من أجله.

ومما ورد من التعريف بالموصولية عند ابن مرج قوله:

قلبي يرى أنْ لا سُلُوَّ من الهوى رَضِيَ الذي يَلْقَى مِنَ الأَوْصَابِ [٢]

وقد أفاد استخدام الموصول هنا التهويل؛ فالشاعر يتعذَّبُ شوقًا وحنينًا لمحبوبته، وقد عبَّر عن هذا العذاب بقوله: "الذي يلقى من الأوصاب" مما يُوحي بمدى معاناته وعذابه.

وله أيضًا في الغزل: (الطويل)

إلى أنْ تَخَيَّلْنا النجومَ التي بدَتْ به ياسمينًا والظلامَ بَنَفْسَجَا [٣]

وقال يمدح الكاتب ابن عياش: (الطويل)

معاهدُ تُذْكِي حُرْقَةَ الكَبِدِ التي تُكابِدُ مِنْ آلامها ما تُكابِدُ [٤]

إمامُ البرَايا في بلاغته التي يُقوِّلها بالعجز مَن هو جاحِدُ [٥]

٥- التعريف بـ (الـ):

والمُعرَّف بـ (الـ): اسمٌ سبقته (الـ) فأفادته التعريف، فصار معرفة بعد أن كان نكرة؛ كالرجل، والكتاب، والفرس.

وهي إمَّا لتعريف الجنس، وتسمى الجنسية، وإمَّا لتعريف حصَّة معهودة منه، وتسمى العهدية، والعهدية: إما أن تكون للعهد الذكري: وهي ما سبق لمصحوبها ذكرٌ في الكلام، كقولك:"جاءني ضيفٌ، فأكرمتُ الضيف"أي الضيف المذكور، وإما أن تكون للعهد الذهني، وهي ما يكون مصحوبها معهودًا ذهنًا، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به،

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، صـ٣٤٥- ٣٤٦.

(٢) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٤.

(٣) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٦.

(٤) السابق، صـ٤٨.

(٥) نفسه، صـ٤٩.

مثل:"حضر الرجل"، أي الرجل المعهود ذهنًا بينك وبين من تخاطبه [١]، هذا إضافةً إلى طلب التعيين.

ومن أمثلة المعرف بـ (ال) عند ابن مرج:

ما كتب به إلى أبي بحر صفوان بن إدريس قوله: (الطويل)

(سَقَى سَوْرَةَ الوادي السَّحابُ الغوائثُ وإنْ غيَّرَتْ مني الليالي العوابثُ)

عذيري من الآمالِ خابتْ صُقورُها ونالتْ جزيلَ الحظِّ منها الأباغثُ [٢]

ويقول في الغزل: (الطويل)

وأغضبكِ التشبيهُ بالبدرِ كاملاً وبالدِّعصِ مَركومًا وبالظبيِ أدعجَا [٣]

ويقول: (الطويل)

وكُنتُ أظُنُّ الحُبَّ بالضِّدِّ للقلَى ولم أعتقدْ أنَّ الولايةَ ضدُّه [٤]

قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلد لوشة: (الكامل)

والوُرْقُ تَشْدو والأراكةُ تَنْثَني والشَّمسُ تَرْفُلُ في قميصٍ أصْفَرِ [٥]

٦- التعريف بالإضافة:

والمعرَّف بالإضافة: هو اسمٌ نكرة أُضيفَ إلى واحدٍ من المعارف السابقة، فاكتسب التعريف بإضافته، مثل"كتاب"في قولك:"حملتُ كتابي، وكتاب عليّ، وكتاب هذا الغلام، وكتاب الذي كان هنا، وكتاب الرجل"[٦].

٧- مضاف لضمير:

وقد حظي هذا النوع على النسبة الأعلى من بين أنواع المضاف لمعرفة عند ابن مرْج، ومن النماذج عليه ما يأتي:

يقول في الغزل: (الكامل)

يا نظرةً أوْدَتْ بِشَرْخِ شَبابي وقَضَى عليَّ نعيمُها بِعذابِ

ما كنتُ أحسَبُ نظرةً من نضرةٍ تـقـضي على مُشتاقِها بِعِقابِ

إنِّي لأعجبُ من عتابٍ عواذلي جهلاً عليكَ وما يُفيدُ عتابي

يا عاذِلي ماذا تُفيدُكَ شِقْوَتي؟ القلبُ قلبي والعذابُ عذابي [٧]

---

(١) ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، جـ١،صـ ١٤٧- ١٤٨.

(٢) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٥.

(٣) السابق، صـ٤٦.

(٤) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٩.

(٥) السابق، صـ٥١.

(٦) ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، جـ ١، صـ ١٥٤.

(٧) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٤٤.

التعريف بالإضافة للضمير في الكلمات الآتية (شبابي – نعيمها – مشتاقها – عــواذلي – عتابي – شقوتي – عذابي) أفاد التخصيص بإضافة الشباب والعذاب والعتاب إلى نفــسه، وبيان مدى عنائه الذي يلقاه في حب محبوبته.

وكذلك في قوله: (الطويل)

وقلبِ شَجٍّ صَيَّرْتِهِ كُرةً وقد أجَلْتِ عليه لامَ صُدْغِكِ صَوْلَجَا

فلا رَحَلَتْ إلا بقلبي ظعينةً ولا حَمَلَتْ إلا ضُلُوعي هَوْدَجَا (١)

المضاف لعلم:

ومن أمثلته قول ابن مرج: (الطويل)

وهل أنا إلا مثلُ حَسَّانَ شِيمَةً جَبَانٌ، وفي النَّظْمِ النَّفيسِ شُجَاعُ (٢)

وقوله: (الوافر)

ألا لاقُلْ لابْنِ بَغْلٍ لا يُؤذِّن فَيَبْخَسُ ذكْرَ خالقه بفيه

إذا ما كان في فمه كَنيفٌ فَكَيْفَ يَحِلُّ ذِكْرُ اللهِ فيه ؟! (٣)

فقد دلَّ في قوله: (ابن بغلٍ) على التهكُّم والسخرية مستخدمًا الإضافة للعلم في ذلك، وفــي البيت الثاني دلَّ قوله: (ذكر الله) على التعظيم.

جـــ – المضاف للمعرف بـــ (ال):

ويدلُّ على التعيين والتخصيص أيضًا؛ إضافةً إلى المعاني التي يدُلُّ عليها الــسياق، وقــد ورد كثيرًا في شعر ابن مرج، ومن ذلك قوله: (الطويل)

سَرَوْا يَخْبِطون الليلَ والليلُ قد سَجا وعَرْفُ ظلامِ الأُفْقِ منه تأرَّجا (٤)

وقال أبو الحسن الرعيني: أنشدني بلفظه لنفسه: (الكامل)

شَمِلَتْهُمُ آدابُهم فتجاذبوا سِرَّ السُّرورِ مُحدِّثًا ومُصيخَا

والوُرْقُ تقرأُ سُورَةَ الطَّرَبِ التي يُنسيكَ منها ناسِخٌ منسُوخا (٥)

ويقول: (الطويل)

دخلتُم فأفسدتُمْ قُلوبًا بِمُلْكِكُمْ فأنتمْ على ما جَاء في سُورةِ النَّمْلِ

(١) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـــ٤٦.
(٢) السابق، صـــ٦٢.
(٣) نفسه، صـــ٦٩.
(٤) نفسه، صـــ٤٦.
(٥) نفسه، صـــ٤٧.

وبالعدلِ والإحسانِ لم تتخلَّقوا فأنتم على ما جَاء في سُورِ النَّحْلِ[1]

د_ المضاف لاسم إشارة:

ولم يرد هذا النوع في ديوان ابن مرج الكحل سوى مرة واحدة؛ يقول: (الكامل)

مَا اصْفَرَّ وَجْهُ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إلَّا لِفُرْقَةِ حُسْنِ ذَاكَ المَنْظَرِ[2]

وبتتبُّع النكرات والمعارف في ديوان ابن مرج الكحل تبيَّن أنَّ: نسبة المعارف إجمالاً تزيد عن نسبة النكرات بشكلٍ لافت؛ فبلغ عدد المعارف بأنواعها (١١١٥) معرفة، بينما بلغ عدد النكرات في الديوان (٤٢٢) نكرة، هذا من الناحية الإجمالية؛ أما تفصيلاً فعلى النحو الأتي:

- الضمير يحتلَّ الصدارة في شعر ابن مرج من حيث كثرة الورود، يليه المضاف إلى نوع من المعارف، ثم المعرف بال، ثم العلم، يليه الموصول، وجاء اسم الإشارة في الرتبة الأخيرة.
- **وعلى سبيل التفصيل:**
- بالنسبة لأقسام العلم: احتلَّ الاسم المركز الأول، يليه الكنية، انتهاءً باللقب.
- وبالنسبة للضمير: احتلَّ الضمير البارز المتصل النسبة الأكبر في الديوان، يليه الضمير المستتر، وأخيرًا الضمير البارز المنفصل.
- أما بالنسبة لأقسام المضاف لنوع من المعارف: فكان المضاف للضمير في المركز الأول، ثم المضاف للمعرف بال، ثم المضاف للعلم، وورد المضاف للإشارة مرة واحدة في الديوان، بينما لم يستخدم ابن مرج المضاف للموصول إطلاقًا.

(١) نفسه صـ٥٦.

(٢) شعر ابن مرج الكحل، تحقيق: مصطفى الغديري، صـ٥٢.

جدول تقريبي بإحصاء عدد النكرات والمعارف في ديوان ابن مرج الكحل:

الضمير	العلم	اسم الإشارة	الاسم الموصول	المعرف بـــ ال	المضاف إلى معرفة
٤٨٢	٤٠	١٣	٢٨	٢٦٣	٢٨٨

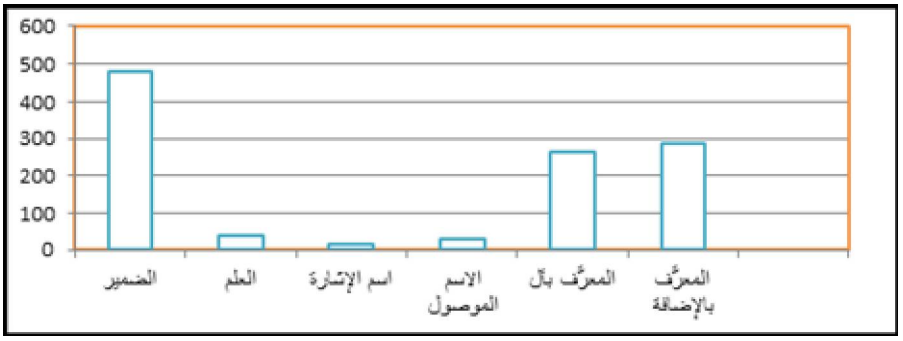

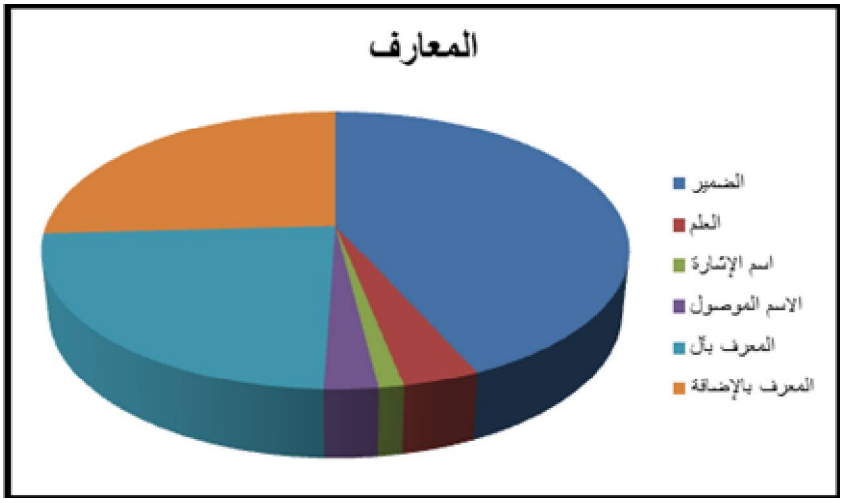

جدول تقريبي لبيان عدد أقسام العلم في الديوان:

العلم			
النوع	الاسم	الكنية	اللقب
العدد	٣٢	٧	١
الإجمالي	٤٠		

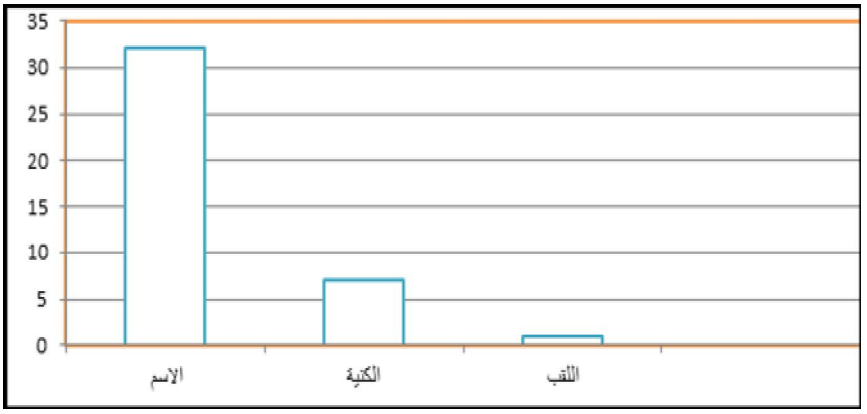

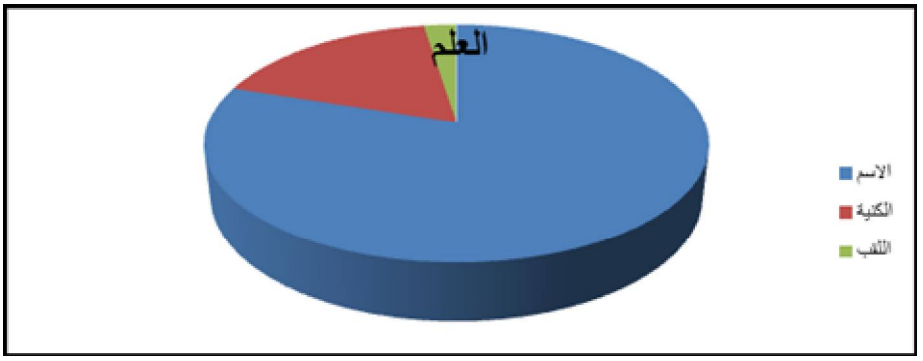

جدول تقريبي لبيان عدد الضمائر في الديوان:

	الضمير		
النوع	المستتر	البارز	
		المتصل	المنفصل
العدد	٢٠٧	٢٥٧	١٨
الإجمالي	٤٨٢		

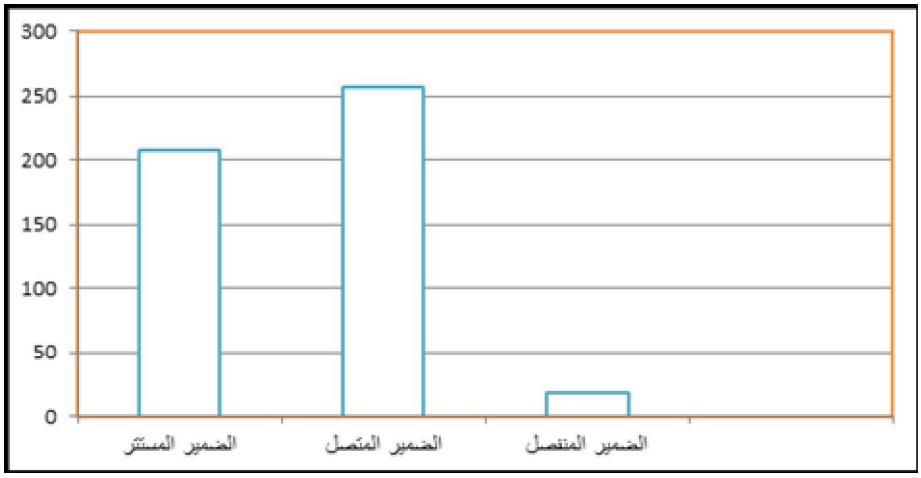

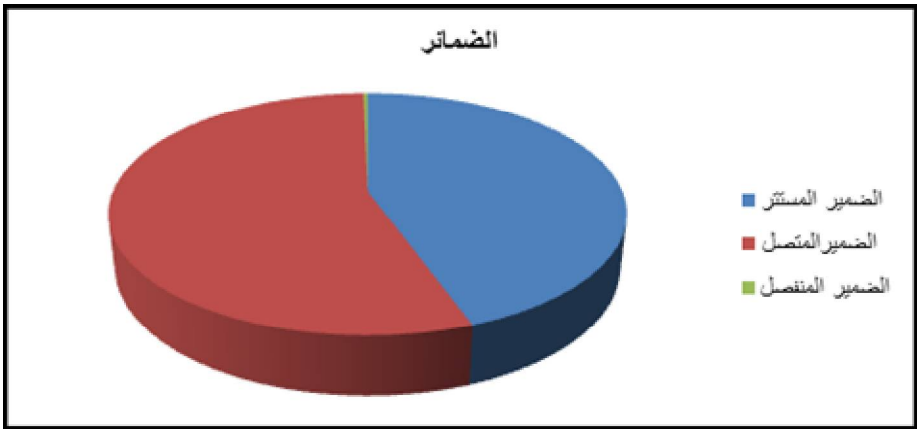

جدول تقريبي لبيان عدد أنواع المضاف إلى معرفة في الديوان:

	المضاف لمعرفة				
النوع	المضاف لضمير	المضاف لعلم	المضاف للمعرف بـــ (الـــ)	المضاف للإشارة	المضاف للموصول
العدد	١٨٣	١٤	٩٠	١	لا يوجد
الإجمالى	٢٨٨				

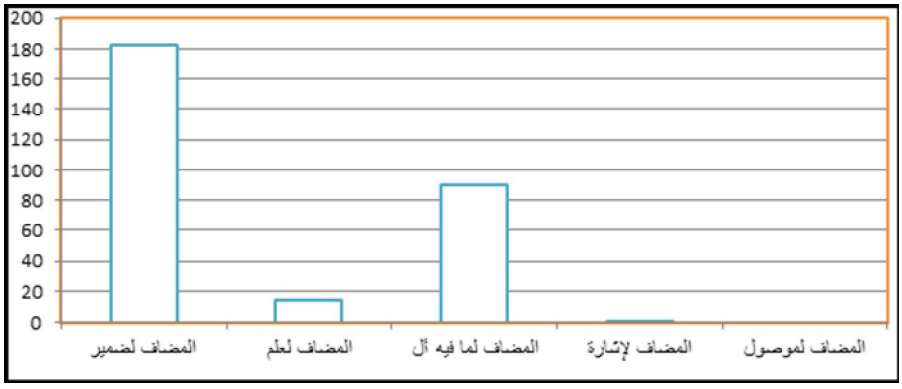

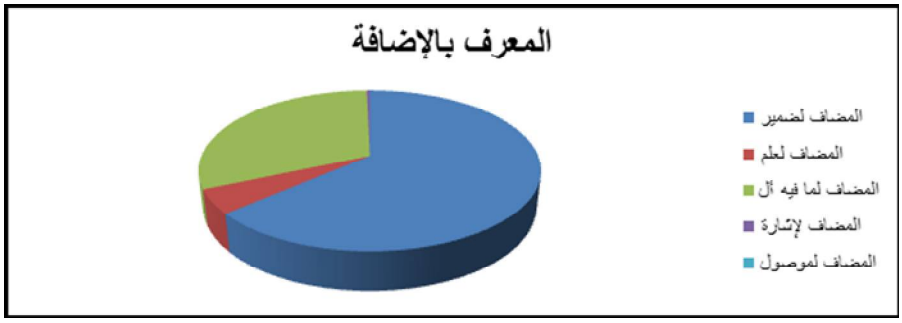

جدول يبين إجمالي عدد النكرات والمعارف في شعر ابن مرج الكحل:

النوع	النكرة	المعرفة
العدد	٤٢٢	١١١٥

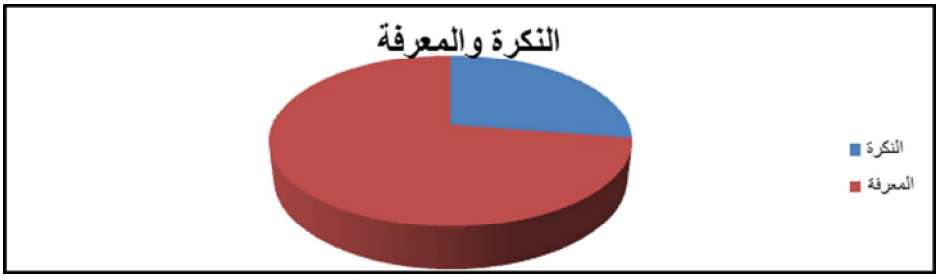

النسبة المئوية للنكرة ٢٧،٤ %.

النسبة المئوية للمعرفة ٧٢،٦ %.

الخاتمة:

– تنوَّع استخدام (ابن مرْج الكُحل) للنكرات والمعارف في ديوانه، وكان لهـا تـأثيراتٌ جميلة في السياق، وبتتبُّع النكرات والمعارف في ديوان ابن مرج الكحل تبيَّن أنَّ: نـسبة المعارف إجمالًا تزيد عن نسبة النكرات بشكلٍ لافت، حيث بلغ عدد المعـارف بأنواعهـا (١١١٥) معرفة، بينما بلغ عدد النكرات في الديوان (٤٢٢) نكرة، وبلغت النسبة المئويـة للنكرة ٢٧،٤ %، والنسبة المئوية للمعرفـة ٧٢،٥ %، ويلاحـظ أن الـضمير يحتـلَّ الصدارة في شعر ابن مرج من حيث كثرة الورود، يليـه المـضاف إلـى نـوع مـن المعارف، ثم المعرف بال، ثم العلم، يليه الموصول، وجاء اسـم الإشـارة فـي الرتبـة الأخيرة.

–أما بالنسبة لأقسام المضاف لنوع من المعارف: فكان المضاف للضمير فـي المركـز الأول، ثم المضاف للمعرف بال، ثم المضاف للعلم، وورد المضاف للإشارة مرة واحـدة في الديوان، بينما لم يستخدم ابن مرج المضاف للموصول إطلاقًا.

ثبت المصادر والمراجع:

(١) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١، ١٩٨٠م

(٢) أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٤) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ٣٠، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

(٥) دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم آيات التعصب والعناد نموذجًا، عباس يونس حمزة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد ٣١، ٢٠١٨ م.

(٦) ديوان ابن مرج الكحل، جمع وتوثيق وتقديم مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الناشر: جامعة محمد الأول – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤلف مصطفى الغديري العدد ٥ع، ١٩٩٥م.

(٧) شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني (ت ٧٦٩هـ)، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

(٨) الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، سيدا، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٩) لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، تحقيق أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، مادة (نكر).

(١٠)معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(١١)النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت، ٢٠٠٧م.